ثقافة

الياس خوري

الايقاع الشعبي داخل الحلم

يتكىء الحلم على الحلم ، فينفجر الواقع منبسطا ومأساويا . يمتد شاسعا في الارض ، يحفر فيها قنوات ماء ولا ينكسر الماء بحد السيف . فالماء حين يجري ، يحيط الارض ، يتراجع ولا يجف ، لانه ينبع منها ويتراجع اليها . من الحلم ينهمر الواقع كحلم لكنه يبقى في أصالته رديف مستقبل بركاني القسمات . واذا كانت البساطة الشعبية تتغابى ، أو توحي بذلك ، فان الغبي هو السيف الذي ستكسره ملايين حبات الرمال ، حين تكتشف اشجارها التي نبتت على ضفاف آلاف القنوات التي حفرتها الارادة وقد لبست شعبا بأكمله . في رواية اميل حبيبي الثانية ، هذا الافق وقد ابتل بالدماء واصبح بلون خمرة الذاكرة .

تخرج الالاف وقد حملت ليلا لتعود به . فالذين شردوا ليل ١٩٤٨ يعودون او يحاولون العودة ، ليكتشفوا ارهابا متقزما يجلدهم وهم يستطيلون . تفرغ المدن والقرى ، وتكبر السواعد . فالمتشائل البسيط حين يعود وعلى رأسه « كيس خيش » ، يطمره الكيس ويسحقه ذله مرة ثانية . فيلجأ الى النكتة السوداء ، ويختبىء خلف ذاكرته المفقودة ، لكنها تعود مع ابنه ومع ابن حبيبته على شكل فدائي يفجر وينفجر . فتنحني الرواية : تنتوس وتتمهل . تنشر في الفضاء ترابا بركانيا اسود اللون ، تنمو الطحالب على اطرافه . ثم حين نعيد لمس صفحاتها ، يقذف البركان انفجاراته . في المستوى الاول نداءات فعل وذكريات ممارسة ، وفي المستوى الثاني فعل حجمه التاريخ حين يحسم . بين هذين المستويين ، تنساب رواية متتالية الفقرات ، كأنها مقامات موسيقى شرقية عتيقة لتحفر في ثقافتنا مجرى جديدا بدأ مع **سداسية الايام الستة** ، ويأخذ اليوم ملامحه الكاملة . هذا المجرى الذي يأتي قريبا كالدماء ، يبقى بعيدا ومتفردا ، تفرد تجربة العرب في « اسرائيل » . فهو رواية اخرى لها ملامحها الخاصة التي لا نستطيع تقليدها ، لانها تنبت في تربة خاصة حيث تحفر المواجهة المباشرة ايقاعها .

مسائل الحياة اليومية : تتمحور الرواية حول شخصية شعبية مركزية ، وتلتقط همومها في ثلاث دوائر متتالية . الاساسي هنا هو أن هذه الشخصية تحمل معنى مثلث الدلالات : فهي تجريد للشعب ، كما تحمل هموم ومعاناة المتعاون مع الاحتلال تحايلا ، وتحمل أخيرا صوت المؤلف الذي يكشف الغطاء عن عناصر تعددها . تبدأ ببطل الرواية يقدم نفسه : « اوصى الي سعيد ابو النحس المتشائل قال : بلغ عني أعجب ما وقع لانسان منذ عصا موسى وقيامة عيسى وانتخاب زوج الليدي ببرد رئيسا على الولايات المتحدة الاميركية » . يقسم الكتاب الاول **يعاد** الى عشرين مقطعا تبدأ بـ « سعيد يدعي التقاء مخلوقات من الفضاء السحيق » لتنتهي بـ « الجرح المفتوح » . وبين هذين الحدين يروي لنا المتشائل حكايته منذ ولادة دولة « اسرائيل » . يتحلق الكتاب الاول حول مسألة أساسية : تقديم

---

* اميل حبيبي : **الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل — ثلاثية — في الجديد** شباط ٧٢ وكانون الاول ٧٢ ونيسان — ايار ١٩٧٤ . ويمكن مراجعة الكتاب الثالث في **شؤون فلسطينية** — ٣٨ — .